

المنظمة الماركسية - اللينينية المغربية "إلى الأمام"

الثورة في الغرب العربي في المرحلة
التاريخية من تصفية الامبريالية

I - نضال الجماهير و تناقضات الحكم في المغرب

1- نضالات الجماهير:

إن الأحداث التي عرفتها الشهور الأخيرة، تبين تصاعد نضالات الجماهير الشعبية، و إعادة النظر في السلطة الكمبرادورية من طرف مجموع الشعب.

لقد سجل شهر نونبر 1970، تطورا كبيرا في نضالات الفلاحين، مع نضالات فلاحي أولاد خليفة، الذين هبوا من أجل انتزاع أراضيهم من أيدي الإقطاعيين الجدد.

و إن احتجاجات و تظاهرات الجماهير الفلاحية ضد استحواذ الإقطاعيين الجدد على أراضيهم، كانت قد عرفتها أيضا مناطق متعددة من البلاد، خاصة في الريف وتادلة.

لقد بينت الطبقة العاملة عن طريق عدة إضرابات، و توقف عن العمل، على أنها أصبحت أقل فأقل خضوعا لعرقلة البيروقراطية النقابية، و يبقى العمال المنجميون في الطليعة، ليس فقط بالتوقف عن العمل و الإضرابات الجزئية في خريكة، لكن بتسجيل انتقال إلى أشكال نضالية أكثر حدة، حيث يترافق الإضراب مع احتلال أعماق المناجم، كما حدث في أواخر أبريل - ماي مع منجمي قطارة ضد تسريح سبعة من ممثليهم، من بينهم الكاتب النقابي.

و في المدن، ما زال ثقل البيروقراطية النقابية فعالا، و كان قد استطاع في شهر دجنبر، أن يحد

من إضراب العمال في معمل باطا بالدار البيضاء ضد قمع الباطرونا. على هذا الصعيد، جاء النجاح الباهر لمنجمي قطارة، ليبين الطريق الصحيح للبرولتاريا. و مع ذلك، أصبحت البيروقراطية العمالية محط تساؤل وسط برولتاريا المدن أكثر فأكثر، هكذا، و في الأسابيع الأخيرة، تطورت إضرابات جديدة، أهمها ما عرفته شركة السكر (كوزيمار) بالدار البيضاء، المصنع الذي يعد واحدا من معاقل البرولتاريا البيضاء، لكن في نفس الوقت، تعرضت لقمع و حصار شرسين، حيث يوجد العديد من مناضلي كوزيمار ضمن سجناء مراكش¹. في هذه السنة، خاض شباب الثانويات منذ بداية يناير، و إلى حدود منتصف شهر مارس، نضالات طويلة و أكثر حدة من السنوات السابقة، و التي كانت قد هزت النظام بقوة. لقد كانت خاصة نضالات هذه السنة، في عدد من المدن، انتقال الجماهير الشعبية إلى المساندة المفتوحة، حيث تظاهرت إلى جانب التلاميذ في قصر السوق و الناظور و وجدة. و في مدينة الدار البيضاء، تحولت ليلة العيد الرسمي، 3 مارس²، إلى تظاهرة شعبية، حيث هرب فنانو النظام مفزوعين، أمام صياح الجماهير. و بعد الاستئناف العام للدراسة، ابتداء من 12 مارس، بعد إعادة إدماج التلاميذ المطرودين في الأسابيع الأولى من الإضراب، قدم التلاميذ برهانا صارخا على استمرار كفاحيتهم، من خلال دخولهم في الإضراب العام ليوم 23 مارس.

و قد كانت مساندة الطلبة لتلاميذ الثانويات في هذه السنة أكثر حزما، و لم يستطع السياسيون البرجوازيون و ممثلهم داخل الاتحاد الوطني لطلبة المغرب، العودة إلى مهزلة إفران، و كان عليهم أن يزيلوا القناع بشكل مفتوح، لتكسير الإضراب في الجامعة خلال شهر فبراير، و

1. إن المقصود بذلك، هو اعتقالات 1970-1971، التي مست العديد من مناضلي الجناح الثوري "للاتحاد الوطني للقوات الشعبية"، و الذين تم تقديمهم للمحاكمة في مدينة مراكش، و كان من بين المعتقلين عمال منتمون لمعمل كوزيمار، (المترجم).
2. 3 مارس هو تاريخ "عيد العرش" الذي كان يحتفل به نظام الحسن الثاني.

تمكنهم من ذلك في الأخير، يبين، في نفس الوقت، تأثير الإيديولوجيا البرجوازية الصغيرة على قسم هام من الطلبة، و استمرار اتجاه التراجع لدى الطلبة الثوريين في الجامعة، الذي يعزلهم عن الجماهير، و في نفس الوقت، يضعفهم أمام الأحزاب البرجوازية.

إن نقط الضعف الأساسية لنضالات الجماهير تتمثل في عدم التنسيق و التجذر غير الكافي للمناضلين الثوريين داخل الجماهير، و نقص الأفق الاستراتيجي. لكن التطور نفسه لنضالات الجماهير يخلق شروطا أحسن لتجاوز نقط الضعف هذه.

إن الشعار الذي صدحت به الجماهير في فاتح ماي، و المعمم لسته أشهر من النضالات يبين من خلال مثال "أولاد خليفة" و "قطارة"³ (يتعلق الأمر بشعار "ولاد خليفة و قطارة و الثورة المضفرة" كناية عن التحالف العمالي الفلاحي) (إضافة المترجم)، أن الجماهير تعرف استخلاص الدروس من هذه النضالات، و على المناضلين الثوريين أن يعرفوا استخلاصها أيضا، و توجيه جهدهم بشكل يجعلهم أكثر حضورا داخل نضالات "ولاد خليفة" و "قطارة" في المستقبل.

2 - تشدد النظام و عدم انسجامه:

أ - أمام هذه النضالات تشدد النظام بقوة في مواقفه. فقد كان خطاب العرش بمثابة رفض عنيف، و غير مقنع (بفتح النون و تشديدها)، على مطالب الفلاحين حول الأرض، و مطالب الشبيبة حول التعليم.

في المقابل، عرف ارتفاع الأسعار قفزات جديدة، فثمن الزبدة تضاعف مرتين و نصف بشكل

3. يتعلق الأمر هنا، بشعار "ولاد خليفة و قطارة و الثورة المضفرة" كناية عن التحالف العمالي الفلاحي. هذا الشعار صدحت به حناجر آلاف العمال و الشبيبة الثورية، خلال مسيرات فاتح مايو لسنة 1971، و من المعروف أن ولاد خليفة، هو اسم قبيلة من الفلاحين، انتفضت بمنطقة "الغرب" دفاعا عن أرض الأجداد ضد جشع "المعمرين الجدد" المساندين من طرف أجهزة النظام القمعية. أما قطارة، فاسم لمنجم بنواحي مراكش، اعتصم العمال بقعره، و هددوا بتفجيره إذا لم يستجب النظام لمطالبهم و على رأسها إعادة رفاقهم المطرودين، و قد اضطر النظام للإستجابة تحت ضغط نضالهم و التضامن الواسع معهم (المترجم).

مفاجئ مع ارتفاع سعر البنزين، و قد واجه النظام المطالب الشعبية حول سعر السكر، بصمت ينم عن الاحتقار.

في الحقيقة، في الإطار العام، الذي سنعرض له لاحقا، فإن الأوليغارشية الكمبرادورية، تسقط في منطق نظامها لنهب البلاد.

علاوة على ذلك، تضطر الأوليغارشية للتحرك بوجه مكشوف، أمام العجز المتزايد للأحزاب البرجوازية في تأطير الجماهير، و السياسيون الخونة العاجزون أكثر فأكثر على التأثير على الجماهير الشعبية.

ب - و مع ذلك، فضعف القاعدة الطبقية للأوليغارشية الكمبرادورية، و تعفنها المتسارع، يمنعاها من المرور إلى القمع المعمم تجاه نضالات الجماهير.

إن رد فلاحى "ولاد خليفة" أربك تماما الإرهاب، الذي حاول عملاء النظام قسارى جهدهم ممارسته في منطقة الغرب، و اضطر النظام إلى التراجع في قطارة. و داخل البرولتاريا البيضاء، كانت تروج شعارات ثورية، سواء على جدران المعامل، أو على ظهر الآلات، و يقوم التلاميذ بالرد على قوى القمع و عملاء النظام داخل إدارة الثانويات.

لقد ظهرت الجبهة الموحدة للطلبة التقدميين بقوة، أمام اضطراب السياسيين البرجوازيين و البوليس.

في هذه السنة، تظهر هذا الضعف كذلك، في المرور إلى استعمال كوموندوهات فاشية، و لم يقدر النظام على إسكات الصحافة البرجوازية التي، و حتى بغموضاتها، أصبحت بدورها تزعجه، و ذلك بتنظيم هجوم بوليسي لتكسير أجهزة مطابعها.

و في الجامعات ظهرت كوموندوهات فاشية، تحت غطاء "الاتحاد العام لطلبة المغرب"، و تنظيم من المخبرين المندسين تحت اسم "شبيبة و اشتراكية"، و بذل البوليس قسارى جهده لجلب

المناضلين العمال، المشتمئين من بيروقراطية "الاتحاد المغربي للشغل" إلى تنظيمهم "اتحاد العمل المغربي"، الذي تقوم سيارات البوليس فياط 125 بحمايته.

لقد ظن النظام أنه سيتوج هذه السنة عملية الترهيب، التي بدأها منذ سبعة عشر شهرا، عن طريق الاختطافات و التوقيفات و التعذيب، و المرور إلى محاكمة مئتين من المناضلين، الذين تم اعتقالهم في كل مناطق المغرب و بالخارج، بمساعدة المخابرات الأمريكية، و البوليس الفاشي الفرنكاوي الاسباني.

لكن لحد الآن، لم يحصل إلا على نتائج عكسية لهذه التوقعات، و قد رفض القضاة العسكريون محاكمة المناضلين، و أن يجعلوا الجيش متواطئا في العملية، و اضطر النظام، اللجوء إلى عملاء خدام معينون في مراكش.

على العكس، لم تتراجع نضالات الجماهير، و اقترب موعد المحاكمة، كان قد زرع بعض القطاعات البرجوازية الصغيرة، الميالة إلى الانتظارية. و قد كان دور المناضلين الثوريين حاسم في هذا الميدان، بصفة خاصة، لدفع التيارات الانتهازية الانتظارية من البرجوازية الصغيرة إلى التراجع، و تراجع تأثيرها على بعض القطاعات الجماهيرية، كما هو الحال، بالنسبة لدورهم في كسر جدار الصمت حول محاكمة مراكش.

ج - إن تشدد النظام، على الرغم من ضعف قاعدته الاجتماعية التي تؤدي إلى عدم الانسجام، ليس فقط نتيجة منطقته الخاص، كطغمة من الناهبين، و لكن لانعكاس الاندماج الوثيق للنظام الكمبرادوري مع الامبريالية.

على عكس المظاهر التي تنتج عن الإدراك البرجوازي الصغير للظواهر الوطنية، بعزلها عن سياقها الدولي، فإن رفض الإصلاح الزراعي، و سياسة المغرب لبعض القطاعات التجارية، هي، كما سنبينها، في تطابق مع تصاعد سياسة الاحتكارات الامبريالية على الصعيد العالمي.

إن هذا الاندماج، يظهر بوضوح، في تعاون النظام في مشاكل الصحراء الغربية، في تعزيز الروابط مع الامبريالية الفرنسية و الاسبانية، كل هذا في إطار استراتيجية الامبريالية الأمريكية في المنطقة. و البيان الذي نشر في ختام جولة لوبيز برافو إلى الرباط في نهاية مارس، له دلالة في هذا الموضوع. فالحكومة المغربية و معها الفاشية الاسبانية مهتمتان بتعزيز "الأمن في البحر المتوسط" و "الوعي المتوسطي"، و بتعبير آخر، تعزيز المواقع العسكرية الامبريالية و الإيديولوجية الامبريالية و الاستعمارية الجديدة.

بشكل جلي، تعد الفاشية الاسبانية و الطغمة الكمبرادورية المغربية دعامة الامبريالية في منطقة غرب البحر المتوسط. لكن لسوء حظ المخططات الامبريالية، فكلما اعتمدت الامبريالية على هذه الدعائم، كلما تعرضت هذه الأخيرة للتعفن، و يشهد بهذا قضيتا ماتيسا في اسبانيا، و بن مسعود في المغرب.

و لفهم منطق هذه السيورة، يجب علينا أن نفهم مشاكل الثورة العربية في السياق العام للنضال الثوري للشعوب، من أجل تصفية الامبريالية.

II – قضايا الثورة العربية

1 – الضربات الموجهة للثورة الفلسطينية:

شهدت الشهور الأخيرة، محاصرة و تطويق الثورة الفلسطينية، البؤرة الرئيسية للثورة العربية، و قد أجبرت الضربات التي سددها جيش العملاء الأردنيين، المقاومة الفلسطينية على أن تنكفئ على ذاتها في سرية شبه تامة، و أن تتبنى مراجعة لم تكتمل، في نفس الوقت، تعمق تنظيم المقاومة و تجذرت، و بالأخص في قلب فلسطين المحتلة، رغم حصار القوات الصهيونية داخل مخيمات غزة.

إن تواطؤ الامبريالية و التحريفية، كان العامل المحدد، الذي يسمح بتطويق الثورة الفلسطينية،

و بالفعل، فإن هذا التواطؤ، سمح للإقطاعيات و البرجوازيات العربية المرتبطة بها، أن تلتقي في نفس الهدف، من أجل كبح الاندفاع العميقة للثورة العربية و بؤرتها الرئيسية.

عمليا، فإن هذا يقود الدعائم الطبقية للتحريفية في المنطقة، البرجوازية البيروقراطية العربية، إلى الانتقال أكثر فأكثر إلى الوصاية المباشرة للامبريالية، بينما لن تتأخر التحريفية السوفياتية عن الظهور ضمن هذه العملية، ك "مخدوع التاريخ".

لكن في نفس الوقت، فالانتصار المباشر لقوى الثورة المضادة، يجذر بذور الإيديولوجية الثورية في مجموع الأمة العربية، و بدرجة أكثر، بقدر ما تنفضح أدوار التحريفيين الذين يظهرون على حقيقتهم. و بالدرجة الأولى بطبيعة الحال، وسط الشعب الفلسطيني، و أيضا داخل الشعوب الأخرى التي تشكل الأمة العربية.

إننا نعيش الدلائل الملموسة لذلك بالمغرب، رغم أن الآثار السطحية تكاد تظهر بالكاد. و بالنسبة للشعبين، حيث هذه الآثار أكثر عمقا، و ذات انعكاسات أكثر ثقلا، على المدى القريب، نعني الشعبين المصري و السوداني، لا يجب، نتيجة لتأثيرات السطح، المدركة مع ذلك، السقوط في الإحباط. هكذا إذن، من الممكن ترقب موجة أخرى للثورة العربية، تنبثق أكثر قوة، أكثر عمقا و أكثر اتساعا.

2- تجمع البرجوازيات والرجعيات العربية في ظل الاستراتيجية الامبريالية

في هذا السياق، تتعمق تناقضات الأنظمة البرجوازية الصغيرة العربية، و محاولات إخفائها من طرف قادتها، تقودهم إلى لعبة تكتيكية اتجاه الامبريالية، مفصولة عن نضالات الجماهير، و فاقدة لفكر استراتيجي، يزيد من تعميق تناقضاتها، و اندماجها التدريجي بالاستراتيجية الامبريالية.

إن المخططين الرئيسيين، هما من جهة، فدرالية الجمهوريات العربية، و محاولة الحكومة المصرية إنقاذ ماء الوجه في تطبيق مشروع روجرز، و مشاكل البترول من جهة أخرى.

أ. فدرالية الجمهوريات العربية وبهلوانيات أنور السادات

إن فدرالية الجمهوريات العربية، هي في الحقيقة، تعزيز لتماسك على مستوى القمة، لثلاث برجوازيات بيروقراطية عربية رئيسية في المشرق العربي.

إن هذا التجمع، تحت غطاء عبارات دعم الثورة الفلسطينية، يرمي في الواقع، إلى التهيئ للاستسلامات المفتوحة أكثر فأكثر، في إطار التواطؤ بين الامبريالية الأمريكية و التحريفية في هذه المنطقة، التواطؤ الذي تلعب فيه الامبريالية الأمريكية الدور المحدد أكثر فأكثر.

ضمن هذا التواطؤ، و هذا التجمع أيضا، فإن اتجاهات هذه البرجوازية البيروقراطية، التي، تحت غطاء الفرازولوجيا الماركسوية، في إطار الروابط مع الاتحاد السوفياتي، الذي يقدم كداعم للنضال ضد الامبريالية، تمارس تأثيرا مشلا للجماهير الثورية و تنعزل أكثر فأكثر و تضعف، لصالح اتجاهات تنادي بالمكشوف، أو في الكواليس، بالانتقال إلى مساومة مباشرة مع الامبريالية، إن هؤلاء، و أولائك، موحدون حول التخلي عن الفلسطينيين، لكن التيار الثاني، يدفع هذا التخلي حتى منطقه الأخير.

هكذا، فإن الغطاءات الأخيرة التي تحتبئ تحتها البرجوازيات البيروقراطية، لتغليط الجماهير، أصبحت تتضح أكثر فأكثر.

و كانعكاس ملطف لمعارضة الجماهير، قامت اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي، بشكل غير منتظر، بتقديم انتقادات للاتفاق حول الفدرالية، مما أجبر القادة على تأجيل النقاش.

إن إعفاء علي صبري، ليلة مجيء روجرز إلى القاهرة، أسقط واحدة من آخر الغطاءات الاشتراكية للبرجوازية البيروقراطية المصرية. و إن أنور السادات، رأس هذه الأخيرة، يسير منذ شهرين، من تراجع إلى آخر، تحت ضغط الشروط الإسرائيلية الأمريكية.

فبعد التخلي عن الحديث عن سيناء، و لكي ينقد ما تبقى له من ماء الوجه، ما زال يحاول،

الحصول للمشاة المصريين، و فقط للمشاة، على السماح لهم بعبور القناة، بعد انسحاب القوات الصهيونية ب 20 كلم.

هكذا، أكثر فاكتر، بالإمكان التفكير باقتراب المنعطف الحاسم للثورة العربية، حيث سيكون غضب الجماهير المصرية انتهازية البرجوازية الصغيرة.

ب - مشاكل البترول

فيما يخص هذه المشاكل، فالبرجوازيات البيروقراطية، خاصة الليبية و الجزائرية، التي لعبت لعبة أكثر ذكاء، سهلها التعقيد التقني للمشاكل، و التوهيم الذي يخلقه، لحد أن بومدين تكلم أخيرا عن دم الشهداء الممزوج بالبترول الجزائري، و سهل الأمر كذلك، تلك الحداقة الكبيرة و القوة السياسية للاحتكارات الدولية، التي تشكل الكارطيل العالمي للبترول.

إن أصل أزمة البترول الحالية، توجد في شهية البرجوازيات البيروقراطية العربية، للزيادة في مواردها الآتية من هذا المصدر.

و إن اللحظة المختارة تسمح لهم، بالقيام بعملية تمويه مذهلة بالنسبة للنضال السياسي و الثوري المعادي للامبريالية، دون، مع ذلك، المساس بالمصالح الحيوية للامبريالية في هذا الميدان. على العكس، فإن موقع الاحتكار العالمي للكارثيل يتعزز، و ليس غريبا، مشاركة الإقطاعيات العربية و الإيرانية و العملاء الفينزويليون للامبريالية في العملية.

و بدون الدخول في تحليلات طويلة، فلنسجل الوقائع الأساسية:

ب. 1. اتفاقات الكارثيل البترولي - الدول المنتجة، الليبية أساسا:

إن هذه الاتفاقيات، بموافقتها على زيادة تصل إلى دولار للبرميل تقريبا، (البرميل يساوي واحد على سبعة من الطن) من ثمن البيع عند المنطلق (أي من الدول المنتجة)، تسمح لهذه البلدان، بالزيادة في عائداتها الفعلية من حصتها في الأرباح، أي ما يعادل من 0,50 إلى 0,55 دولار للبرميل.

بالنسبة لليبيا، فهذا يعني، زيادة في العائدات تقارب 600 مليون دولار (3 مليار درهم) زيادة، رغم حجمها الكبير، لن تغير من بنية اقتصادية تظل نيو- استعمارية. و مع ذلك، لم يتم المساس بوضعية احتكار البترول، فالبنية العالمية لسعر البترول، التي يركز عليها هذا الاحتكار، لم يتم استحضارها حتى، إن هذه الزيادة، لا يتحملها الكارتيل، بل تنعكس على الاستهلاك بشكل كامل، مقارنة بثمان البيع، بما يعني أن أرباح الكارتيل ستزيد حصتها كذلك من ارتفاع أثمان البيع للبترول الخام.

إذا كان الاقتصاد الرأسمالي العالمي سيري، هكذا، تسريعا في سيرورة التضخم و تناقضاته الاقتصادية العميقة، فإن موقع الاحتكارات البترولية، العمود الفقري للامبريالية، لن يمس، بل على العكس من ذلك، فإنه سيتعزز، أو بالأحرى، ستخرج قوية من الأزمة، خاصة، و أن الدول المنتجة وقعت على اتفاق لمدة خمس سنوات، و بالأخص عندما تخلت ليبيا عن المطلب الوحيد الذي يمس بالبنية الامبريالية، يعني الالتزام بإعادة الاستثمار داخل البلد، من طرف الشركات البترولية، لحصة من أرباحها.

ب. 2. النزاع الفرنسي الجزائري حول البترول:

إن النزاع الذي تمت معالجته بشكل منفرد لذو معنى، لأن الكارتيل العالمي للبترول لم يتم المساس به.

إن النزاع يوجد بين الدولة الجزائرية من جهة، و الشركة التي تشرف عليها الدولة الفرنسية من جهة أخرى، شركة واحدة، و هي الشركة الفرنسية للبترول، شركة ذات رأسمال مختلط، تتوفر على مقعد احتياطي لدى الكارتيل.

لكن الذي كان موضوع خلاف، من الجانب الفرنسي، كما بالنسبة للكارتيل، يتعلق ببقايا محاولة الديغولية، و فئة من البرجوازية التكنوقراطية الفرنسية، التي تلعب لعبة مستقلة تجاه الكارتيل

البترولي، و أول محاولة من هذا النوع، كان قد قام بها ماتبي بإيطاليا، و كانت قد انتهت باغتيال صاحبها.

إذا كانت البرجوازية البيروقراطية الجزائرية، هنا، قد قادت مركبها بمهارة، فإن الذي سهل لها ذلك، هو تلك الحماقات التي راكمتها الدولة الفرنسية و الشركات البترولية الفرنسية. حول هذه النقطة، من المسموح التساؤل، حول ما إذا كان هذا التراكم للحماقات من هذا الحجم، لم يكن مقصودا من طرف القادة السياسيين الفرنسيين، لتصفية السياسة المعادية للكارتيال.

في مناسبات أخرى، عندما نستحضر رياء بومبيدو، المدير السابق لبنك روتشيلد، فمثل هذه الفرضية تظل كذلك، أكثر تماسكا، إذ تتطابق مع الاندماج المسجل أكثر فاكثرا، بين اقتصاد الرأسمالية الفرنسية و سياستها، و الامبريالية الأمريكية و الاحتكارات الدولية. من الجانب الجزائري، فإن الهجوم تركز حول المجموعات البترولية التابعة للدولة الفرنسية، و كان هذا نتيجة منطقية، لتأميم ممتلكات الشركات البترولية الأمريكية و الانجليزية سنة 1967، و قد يكون عكس ذلك، لو أن الجزائر لم تقم، كما فعلت ذلك، بتقارب واضح مع الشركات الأمريكية.

إن مشروع اتفاق بيع 12 مليار متر مكعب من الغاز في السنة، إلى الولايات المتحدة الأمريكية، و الأهمية التي أعطيت من طرف القيادة الجزائرية لمسطرة إجراء الموافقة من قبل السلطات الأمريكية لذو مغزى.

إن هذا المشروع، من خلال المقادير المرتقبة، هو في الحقيقة تخلي عن سياسة السنوات الأولى للاستقلال، التي كانت تريد بحق، الاحتفاظ بالموارد الأساسية من الغاز الجزائري، لفائدة الصناعة الوطنية و المغاربية، إن هذا المشروع، لا يمكن أن يمثل إلا عاملا تافها في التوازن المالي الجزائري،

إذا أخذ بعين الاعتبار، أسعار الغاز المنخفضة (على أكبر تقدير، إذا أخذنا بعين الاعتبار أسعار الكمية الكبيرة من الغاز الأمريكي، و مصاريف التسييل و النقل، فالربح لكل متر مكعب لا يمكن أن يتجاوز 0,01 دينار، أي 120 مليون دينار في السنة، بينما حاجيات المخطط الخماسي تفوق 5 مليار دينار في السنة).

إن الأهمية المعطاة لهذا المشروع، يكمن تفسيرها في التقارب السياسي لبرجوازية الدولة الجزائرية، و الاحتكارات الرأسمالية.

كل هذا، و ما يرتبط به من اتصالات مجموعة بين البلدان المغاربية، يوضح بجلاء، أن تحالفا أكثر تماسكا يتأسس بين الدول المغاربية، تحت الرعاية السياسية و الاقتصادية المباشرة للامبريالية الأمريكية، و المجموعات الفرنسية و الاسبانية، المرتبطة بها، ائتلاف، يعد، في المقام الأول بداية لعملية امبريالية في الصحراء الغربية، و هذا الائتلاف، هو نظير غربي، مراقب أكثر من طرف الامبريالية، لفدرالية الجمهوريات العربية حيث يتقاطع النفوذ الامبريالي و التحريفي. في هذه الحالة أو تلك، فالأمر يعني قبل كل شيء، تحالف بين أنظمة عربية موجه ضد شعوبها، يستهدف خنق الحركة الثورية العربية.

هكذا، و في ختام هذا الجزء، فلنسجل مرة أخرى، أن الأساسي بالنسبة للثورة العربية، يظل أكثر من أي وقت مضى، النضال الثوري الجماهيري، و الحرب الشعبية لتحرير الشعب الفلسطيني و الخليج العربي، و تطورها في الشرق و الغرب العربي، و من أجل ذلك، من الضروري القضاء على الإيديولوجية التحريفية، و البرجوازية الصغيرة وسط الجماهير، من أجل أن تهب بكل حزم ضد الامبريالية و الصهيونية.

لكن هنا أيضا، يجب أن نسجل، و يؤكد ذلك أحداث الشهور الأخيرة، أن الرهان حاسم جدا بالنسبة للامبريالية، لحد أن هذا النضال، لا يمكن أن يكون إلا طويل الأمد، و غير مفصول

في الواقع، عن سيرورة الثورة العالمية و تصفية الامبريالية على الصعيد العالمي. إن هذه القضايا، هي التي يجب علينا فحصها الآن، على ضوء الأحداث الأخيرة، و التحولات البنيوية في الفترة التاريخية الحالية، و هذا سيسمح لنا بالعودة إلى المهمة الخاصة للثورة في الغرب العربي.

III - الفترة التاريخية لتصفية الامبريالية على الصعيد العالمي

تعتبر الهزيمة التاريخية، التي ألحقتها شعوب الهند الصينية، بقوات الاعتداء الامبريالية الأمريكية و عملائها في سايجون، في جنوب اللاوس، الحدث الأكثر أهمية في الفترة الحالية. لقد عبثت القوات الأمريكية وسائل ضخمة غير مسبوقه لحد الآن: آلاف الهيلوكبترات، مئات قاذفات القنابل العملاقة ب 52، لنقل و حماية عبر ستائر من القنابل، قوات سايجون العميلة، و النتيجة: تدمير مئات طائرات الهيلوكبتر، الهزيمة، الحصار، سحق آلاف الفيالق العميلة، الهروب المخجل، و هلع أولئك الذين نجوا من الجحيم، الذي خلقه الهجوم المضاد للقوات الثورية اللاوسية و الفيتنامية.

في ظل هذا الجحيم، و تحت القصف المكثف، لم يتوقف المقاتلون الفيتناميون أبدا، عن تموين المقاتلين في الكامبودج و جنوب الفيتنام.

و من الممكن التساؤل، كيف استطاعت الامبريالية الأمريكية، بعد اندحار اعتداءاتها في الكامبودج، التوغل أكثر في الكارثة؟ إنه في الحقيقة، منطلق الامبريالية نفسه.

في 20 ماي من سنة 1970، بعد الاعتداء الامبريالي على الكامبودج، في تصريح لماو تسي تونغ، الذي يبدأ بهذه العبارة: "في الوقت الحالي، دفعة جديدة للنضال ضد الامبريالية الأمريكية، تتأكد على الصعيد العالمي". أكد أن: "الامبريالية الأمريكية تظهر كعملاق، لكنها في الحقيقة ليست إلا نمرا من ورق، و تقاوم بشكل يائس. في العمق، اليوم، في العالم، من يخاف من؟

ليست شعوب الفيتنام و اللاوس و الكامبودج و فلسطين، و باقي البلدان العربية، و باقي العالم، من يخاف من الامبريالية الأمريكية؟ إن الامبريالية الأمريكية هي من يخاف شعوب العالم، ففي أقل تحرك، يشتد بها الفزع. هناك وقائع لاحصر لها، تبرهن، على أن قضية عادلة، تحظى دائما بمساندة واسعة، بينما قضية غير عادلة، لا تحظى إلا بالقليل من المساندة، إن بلدا ضعيفا، يمكن أن يهزم بلدا قويا، كما أن بلدا صغيرا، يمكن أن ينتصر على بلد كبير، إن شعب بلد صغير، ينتصر بالتأكيد على اعتداءات بلد كبير، إذا تجرأ على النهوض للقتال، الالتجاء إلى الأسلحة، و يأخذ مصيره يده في بلاده. إنه قانون التاريخ".

و هكذا، أنهى ماو تسي تونغ هذا النداء ب: "يا شعوب العالم اتحدوا لهزم الأمريكيين المعتدين و عملائهم".

يجب أن نفهم، لأن هذا مفتاح الوضعية الدولية، و من هنا وضعية و مهام الثورة المغربية، إننا دخلنا مرحلة ولوج الامبريالية على الصعيد العالمي مرحلة التصفية النهائية، الفترة النهائية للأزمة العامة للرأسمالية التي افتتحت مع ثورة أكتوبر 1917.

1. التعمق السياسي للأزمة العامة للرأسمالية

لقد فتحت ثورة أكتوبر ما نسميه بالأزمة العامة للرأسمالية، هذه الأزمة العامة دخلت في المرحلة نفسها لتصفية نظام الامبريالية العالمي، منذ أن انقلب ميزان القوى على الصعيد العالمي بين قوى الثورة و قوى الامبريالية لصالح الثورة، بانتصار الثورة الصينية سنة 1949. لكن، إذا كان فشل الامبريالية الأمريكية في كوريا، قد أكد هذا الانقلاب في موازين القوى، فأن النتائج، كانت قد تأخرت بسبب تطور التحريفية ودور الإيديولوجية التحريفية المعرقل لنمو الوعي الثوري للشعوب.

لم تقدر هذه الإيديولوجيا، على منع انتصار الثورة الكوبية، التي كانت ثغرة جديدة في المعقل

المباشر للامبريالية الأمريكية. لكن بشكل أساسي، فالهجوم المضاد الحازم للإيديولوجية الثورية الماركسية-اللينينية بقيادة الحزب الشيوعي الصيني، ابتداءً من سنة 1962، هو الذي كان السبب الرئيسي لاندحار الإيديولوجية التحريفية، في بضع سنوات.

إن تطور النضال البطولي للشعب الفيتنامي، الذي رد بالنصر على التدخل المكثف لقوات العدوان الامبريالي الأمريكي سنة 1964، قد جاء ليتبث صحة الخط الثوري.

منذ عشر سنوات، تطورت النضالات المسلحة لحركات التحرر الوطني، في مد، ما فتئ يتعاضم أكثر فأكثر، في : أنغولا، الموزمبيق، غينيا بيساو، ناميبيا، إريثريا، تشاد، فلسطين، ظفار، الخليج العربي، الكامبودج، اللاوس و التايلاند.

و قد عرف شهر أبريل من سنة 1971، انفجارات جديدة للنضالات الثورية، فقد انتفض الشعب المالغاشي لأول مرة، منذ مذابح 1947. إن مأزق يسار البرجوازية الصغيرة، و التحريفية، كان مثار تساؤل و إعادة النظر من طرف الثوريين في سيلان. و في البنغال، انتفضت الجماهير ضد الرعب العسكري الباكستاني، تحت شعار "طريق فلسطين هو طريقنا"، و بذلك أفضلوا محاولات البرجوازية المحلية البنغالية، لتحريف اتجاه المشكل بالتواطؤ مع البرجوازية الكبيرة الهندية.

و في الشيلي، مني نفوذ الامبريالية الأمريكية بالفشل، و ووجه بمقاومة شديدة من طرف الجماهير في أمريكا اللاتينية، رغم الترهيب الفاشي.

و في أوروبا الشمالية، بدأت نضالات الطبقة العاملة الإيطالية تأخذ حجماً كبيراً أكثر فأكثر، و كشفت سلطة الرأسمال الكبير في فرنسا عن عجزها و تبعيتها للامبريالية الأمريكية، و تعمق أزمة الرأسمالية الانجليزية على المستوى الاقتصادي و السياسي، بالنضال المتزايد لشعب إيرلندا الشمالية من أجل تحرره الوطني.

و في اسبانيا، لم يستطع الترهيب الفاشي منع إعادة تنظيم الحركة الثورية و التحررية لشعوب اسبانيا و تطورها، فالطبقة العاملة الاسبانية التي يقودها الحزب الشيوعي الاسباني، الذي كان الحزب الشيوعي الكبير الوحيد في أوروبا الشمالية الذي نجح من وصاية التحريفية، انضمت إليها جماهير الفلاحين و الطلبة في جبهة واسعة لنضال الشعب الباسكي و الكتلاني، منتفضة لانتزاع حقوقها الوطنية، في تحالف مع الشعب الاسباني.

و هكذا، تنضج شروط الانفجار الثوري في اسبانيا الفاشية، التي أصبحت الركيزة الرئيسية للاستراتيجية الامبريالية في غرب البحر المتوسط، و في المغرب العربي.

و في قلب القلعة الامبريالية نفسها، تتعمق التناقضات، التي يوجد في طليعتها النضال الثوري للأقليات الوطنية، الأفرو-أمريكية، و المكسيكو-أمريكية و الكندية الفرنكفونية. أما الشبيبة الطلابية الأمريكية، فقد أصبحت أكثر فأكثر، تعيد النظر في الإيديولوجيا نفسها، التي كان المطلوب منها الترويج لها .

في هذا السياق، تحاول البيروقراطية السوفياتية التحريفية التي ورطتها فشالاتها و مآزقها، تجميع قواها، لكن رغم مجهوداتها، داخل منطقة سيطرتها المباشرة، لم تستطع التحريفية منع الطبقة العاملة البولونية من أن تعبر بشجاعة عن إرادتها في فرض اشتراكية حقيقية، مورطة هكذا المشاريع التحريفية، لتقديم تسهيلات كبيرة لتسرب الرأسمالية الألمانية الغربية، المحاسب الرئيسي للامبريالية في المنطقة.

2. التعميق الاقتصادي للأزمة:

يؤكد تطور الاقتصاد الرأسمالي، منذ الحرب العالمية الثانية، و بصفة أدق، منذ العشر سنوات الأخيرة، هذا التعميق، و يوضع أيضا هذه الفترة التاريخية لتصفية الامبريالية على الصعيد العالمي. في إطار انكماش السوق العالمية الرأسمالية منذ 25 سنة، فإن اقتصاد الاحتكارات يتعمق و

يتمركز، و يسم بطابعه أكثر فأكثر السياسة الامبريالية.

و هناك ثلاثة أشكال مرتبطة فيما بينها، تطبع هذا التعميق، أشكال عرفت نمو متسارعا و متزايدا منذ عشر سنوات.

أ. اقتصاد احتكارات يحاول تجاوز الأزمة عن طريق العسكرة

لم يعرف الاقتصاد الرأسمالي أزمة كبيرة، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، كما وقع سنة 1929، و سنوات الثلاثينات.

فإلى غاية 1960، عرف الاقتصاد الرأسمالي ظواهر دورية، يخففها تراجع محدد، و تسمى انخسارات، و قد جعل تقويمها السريع، الاقتصاديين البرجوازيين يعلنون بزعم، أن عيوب الرأسمالية تم تجاوزها، و أن العالم قد دخل في فترة النيو- رأسمالية.

كانت العشر سنوات التالية أيضا، أكثر مثار للنشوة، ما دامت نفس ظواهر الانحسار هذه، لم تسجل بجد. و مع ذلك، يظهر بوضوح شيئا فشيئا، أن مثل هذا الازدهار، مرده ذلك الثقل الذي أصبح أكثر أهمية، و الذي أحدثته عسكرة الاقتصاد. هذا الثقل الذي لم يكف عن أن يكبر منذ 1948، و يطبع الاقتصاد الرأسمالي أكثر فأكثر.

إن التأثير المزدوج، المرتبط جدليا، للتمركز الاقتصادي و السياسي للاحتكارات على الصعيد العالمي كهيكل للامبريالية من جهة، و تطور النضالات الثورية للشعوب من جهة أخرى، يقود إلى هيكل القاعدة الاقتصادية للامبريالية نحو الحرب و العسكرة.

تعد العشر سنوات الأخيرة، السنوات التي ارتمت فيها الامبريالية الأمريكية، بكل رعونة، في الحرب المناهضة للثورة في الفيتنام، و هي نفس السنوات أيضا، التي عرفت الحرب العدوانية الصهيونية في يونيو 1967، و تفاقم الأزمة في المشرق العربي، هي السنوات أيضا التي عرفت تأسيس دكتاتوريات عسكرية، في البرازيل و اليونان و أندونيسيا، هي كذلك سنوات الدعم

الواسع للفئات الاجتماعية الأكثر تعفنا مثل دوفاليي بهاتي و الأوليغارشية الكمبرادورية بالمغرب. على الصعيد الإقتصادي، لخص هذا التطور مؤخرا، الاقتصادي الماركسي الأمريكي ماغلوف، في رد على منتقديه من محامي الرأسمالية، حيث كتب قائلا:

"تري الانتقادات، أن غياب أزمة اقتصادية كبرى منذ الحرب العالمية الثانية، يعد تغيرا أساسيا، إذا كان مع ذلك أن أهم الأسباب لهذا "التغير الأساسي" يتمثل في الآلة العسكرية الضخمة التي بنتها الولايات المتحدة الأمريكية و احتفظت بها، إذن مثل هذا التغير من الصعوبة اعتباره بداية فجر جديد لرأسمالية حديثة و سلمية، بل على العكس، إنه مصدر حروب و توترات. إن النزاعات الداخلية و الخارجية، التي ولدها مثل هذا "النجاح"، تعتبر بدون نقاش ممكن علامات أولى على نهاية الامبريالية و أفول الامبراطورية الأمريكية، لكن بكل تأكيد ليس بإصلاح سلمي للرأسمالية الاحتكارية"

Montly review, oct – nov 1970

و مع ذلك، فمثل هذا النظام لا يمكن التحكم فيه إلى ما لا نهاية. فمذ سنة، و الاقتصاد الأمريكي يعرف تراجعا واضحا، ف البطالة بلغت 8 مليون عاطل، و مجموع النشاط الصناعي نزل منذ نهاية 1969 إلى نهاية 1970، من 81,7% إلى 72,3%، يسجل أيضا بروز ظواهر اقتصادية شاذة مثل التضخم داخل الركود: يعرف الاقتصاد الرأسمالي منذ أربع سنوات أزمة نقدية عميقة، التي لم ينجح في تجاوزها، إلا عبر الهروب إلى الأمام، مع تعميق هشاشة الطابع المصطنع للنظام النقدي العالمي.

تبين دراسة أخيرة (مونتلي ريفيو، أبريل 1971)، أن 25% من مجموع الساكنة الأمريكية في سن العمل، كانت إما في وضعية بطالة، أو تم تشغيلها، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، في حاجات عسكرية.

و يسجل أصحاب هذه الدراسة، أن هذا المعطى، يقيس الاتجاه نحو ركود رأسمالية الاحتكارات الأمريكية، و يضيفون إلى ذلك: "بدون أن يبعث ذلك على الاندهاش من أمر ضخامة تنامي الاحتكارات في الربع الأخير من القرن، فهذا الرقم يشير إلى أن هذا الاتجاه هو قوي بشكل واضح، لم يكن عليه في سنوات الثلاثينات. قس على ذلك، أنه لدينا هنا مصدر الكثير من القوى التدميرية الذي تقوم تماما على تفتيت الآلة الاجتماعية للبلاد إلى أجزاء".

فلا عجب من رؤية الامبريالية الأمريكية تندفع، أكثر فأكثر، نحو مغامرات حمقاء.

ب. تمركز الاحتكارات على الصعيد العالمي، تجاوز التناقضات البينية للرأسمالية وتنسيقها

بقيادة الامبريالية الأمريكية

وضعت الامبريالية الأمريكية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، الأرضيات الاقتصادية التي تمكنها من بسط هيمنتها على مجموع السوق الرأسمالية العالمية، هذا طبعا، علاوة على قواعدها السياسية - العسكرية المباشرة و من أهمها دولة إسرائيل.

هذه الأرضيات اعتمدت أساسا على إعادة بناء اقتصادات ألمانيا و اليابان، و ربطهما بعلاقات امتيازات مع الاحتكارات الأمريكية، لحساب و مصلحة الدور السياسي المسيطر للولايات المتحدة الأمريكية، التي أصبحت قاعدة النشاط الاقتصادي لمجموعة أوروبا الغربية من جهة، و جنوب شرق آسيا و استراليا من جهة أخرى.

هذه البلدان تستخدم كقواعد رئيسية للامبريالية الأمريكية في هذه المناطق، ليس فقط كأدوات للتوغل و الاختراق الاقتصادي، و لكن كدعامة لعملياتها السياسية و العسكرية، و هذا ما يفسر "معجزات" التطور الاقتصادي لألمانيا الغربية و اليابان.

انطلاقا من هذه القواعد و من هذه الروابط، و بتحديد أكثر أو بشكل مباشر، فاستراتيجية الاحتكارات الأمريكية، تتمثل في بسط مراقبتها على المجموعات المالية و الصناعية لمجموع العالم الرأسمالي بأسره.

إن الهدف الرئيسي لرفع الحدود الاقتصادية داخل السوق الأوروبية المشتركة، ثم في مرحلة ثانية عن أوروبا الغربية بأسرها، يكمن في رفع الحواجز لصالح تلك العمليات.

و يمكن الاقتصار على مثال واحد، و المتمثل في أهم مجموعة صناعية فرنسية "شنايدر"، التي أنجزت أعمالا كبرى في المغرب، و التي أصبحت بالأساس تحت مراقبة المجموعة البلجيكية التابعة للبارون أومبان. هذا الأخير، لا يخفي إرادته في تحويل مجموع ممتلكاته الصناعية إلى المضاربات المالية، و كان قد تنازل عن حصصه الأساسية للمجموعة الأمريكية العملاقة وستينغ هاوس.

كذلك، أنشأ "كريدي ليوني"، بنك القرض و الأعمال الفرنسي، الذي يعد من الناحية النظرية تحت مراقبة الدولة الفرنسية، لكنه يخدم في الواقع ممثلي الرأسمال الفرنسي الكبير، من أجل الضغط على الدولة الفرنسية، تداخلا وثيقا مع بنك ألمانيا الغربية كوميرسبنك، و يرتبط هذا الأخير، عن طريق شبكات تم إنشاؤها سابقا، بالمجموعات المالية الدولية التي تهيمن عليها الاحتكارات الأمريكية.

و نسجل، أن في المغرب، يمارس هذا البنك نفوذا حاسما بواسطة المدير العام الحالي للمكتب الشريف للفوسفاط و وزير المالية الجديد (كريم العمراني)، الذي تمت ترقيته حديثا إلى مرتبة قائد جوقة الشرف، من طرف سفير فرنسا في المغرب، لخدماته الجليلة و الوفية للرأسمال الفرنسي.

يتم تعميم هذا النوع من العمليات على الاقتصاد الرأسمالي بأسره، و يسهل ذلك، انخراط الطبقات السائدة في أوروبا الغربية، حيث أن مثال البارون أومبان، أو عائلة شنايدر، له دلالاته المعبرة.

في الواقع، فإن القياديين الرأسماليين الأوروبيين الأكثر نشاطا، هم الذين يراهنون على الاندماج بالاحتكارات الأمريكية الكبيرة.

هذا التطور واضح بصفة خاصة على مستوى الأبنك الكبرى للأعمال، بما فيها تلك التي تعد

من الناحية النظرية مراقبة من طرف هذه الدول الرأسمالية.

هكذا، في فرنسا، فأبنك الأعمال الرئيسية، بنك باريس و الأراضي المنخفضة، بنك روتشيلد، كريدي ليوني، المجموعة المالية للسويس، هي أيضا، تلك المؤسسات المالية، التي تتداخل مع المجموعات المالية الأمريكية و الانجليزية و الألمانية، و كلها تنتظم في شبكة الرأسمال المالي الدولي، الذي يوجد مركزه العصبي بالولايات المتحدة الأمريكية.

إن هذه الأبنك، التي تحتل دور السيطرة في البنية النيوكولونيالية بالمغرب (أبنك، صناعة، مناجم، سياحة)، قد لعبت دورا حاسما، في دعم الرأسمالية العالمية الحازم للأوليغارشية الكمبرادورية المغربية، منذ 1965.

لقد لعبت الأبنك الثلاثة الأولى، بواسطة شركتها الفرعية المشتركة كوفيمار، دور الكفيل، منذ بداية 1960، في النهوض بالعملية السياسية - الاقتصادية في الصحراء الغربية، في إطار الاستراتيجية العالمية للاحتكارات التي سنذكرها أسفله، بتنسيق تام مع الاحتكارات البترولية الأمريكية، و مع سياسيي البرجوازية الكبيرة الاسبانية، التي يعد **لوبيز برافو** ممثلها النشيط، و كذا وكلاؤهم في المغرب و موريطانيا.

و قد أدى اللعب الأكثر حنكة في الجزائر، الذي بينا مظهره البترولي، بالبرجوازية البيروقراطية الجزائرية إلى الالتحاق بالعملية.

و هكذا، نرى أنه من السطحية البحث على هذا المستوى العميق و الحاسم، عن تناقضات بين الامبريالية الأمريكية و الامبريالية الفرنسية، ففي الحقيقة كانت هذه التناقضات موجودة، و قد ارتبطت بالديغولية خلال الاستيقاظ الأخير للبرجوازية القومية الفرنسية، و تكنوقراط الدولة الفرنسية.

لكن الوطنية البرجوازية في هذه الدول الرأسمالية، كما في الدول الخاضعة للبنية النيو-

كولونىالية، تنتهي بالكس من طرف أنصار الاندماج الدولي للرأسمالية، تحت رعاية الاحتكارات الأمريكية.

ج. تفاقم الخصائص الكولونىالية للامبريالية، فترة تعفن الرأسمالية: السيطرة على المواد الأولية، و النزعة الطفيلية

إن الخصائص الكولونىالية للامبريالية، كما وضحها لينين، تظهر ساطعة أكثر فأكثر. خلافا، لما يزعمه بعض محامي الرأسمالية، فالعشرين سنة الأخيرة، لم تغير هذه الخصائص الرئيسية، بل على العكس من ذلك، عملت على تفاقمها.

و كما سطر ذلك هاري ماغدوف في الدراسة التي تمت الإشارة إليها سابقا: "أن تمرکز السلطة الاقتصادية في يد عدد محدود من الشركات العملاقة، أصبح ممكنا في عدد كبير من الصناعات، بفضل السيطرة على مصادر المواد الأولية عن طريق هذه الشركات.

إن القدرة على الحفاظ على تمرکز هذه السلطة، و تصفية المنافسات الوطنية و الخارجية، و إضعاف القادمين الجدد، و تسيير الأعمال بتوافق مع السياسات الاحتكارية للأسعار و الإنتاج، لكنه متوقف على حيوية و عدوانية هذه الشركات العملاقة للحصول و الحفاظ على تحكمها في القطاعات الرئيسية في التزود بالمواد الأولية، على الصعيد العالمي.

كان هذا تحت غطاء العقلانية المختبئة وراء الاستثمار في الصناعات الاستخراجية، طيلة مرحلة الامبريالية الحديثة، ليس فقط من أجل البترول، ولكن ضمن سلسلة كل المواد المعدنية بالأخص.

إن الوضعية الناتجة عن ذلك، ليس تزايد تبعية الولايات المتحدة اتجاه التزويد الأجنبي بالمواد الأولية، بل تبعية الصناعة الإحتكارية باعتبارها احتكارات حول التحكم في التزود بهذه المواد.

لقد سبق أن رأينا، فيما يتعلق بالبترول، كيف أن تجمع الشركات بعد أن بسط احتكاره على السوق العالمية للبترول، بواسطة الاتفاقات المسماة الكارتيل، تمكن من الحفاظ، و أيضا تعزيز هذا

الاحتكار، في الأزمة الأخيرة.

إن وزن الكارتيل العالمي للبترو، المرتبط بسيرورة عملية التداخل التي تم شرحها أعلاه، حاسم، لفهم كيف أن هذه العملية، تندمج، من جهة، بعملية فدرالية الجمهوريات العربية، و من جهة أخرى، بعملية الصحراء الغربية، المرتبطة نفسها بتجمع دول المغرب العربي تحت وصاية الامبريالية الأمريكية الواضحة، بهذا القدر أو ذاك.

و في الواقع، فإن منطقة الصحراء، حيث لم يشرع بعد في استغلال البترول فيها، هي مجموع الصحراء الغربية التي تضم كل المنطقة الممتدة من بشار إلى تندوف، و درعة و طرفاية و الساقية الحمراء و وادي الذهب و موريطانيا الغربية.

إن وجود مواد بترولية، في هذه المنطقة الواسعة، شيء معروف، لكن متروك بعناية في الظل، إلى غاية إيجاد الحلول السياسية التي ستمكن من إدماجها في النظام العالمي للبترو.

في نفس الوقت، فالشروع في استغلال فوسفات الساقية الحمراء، سيسمح للمجموعات الصناعية الكيماوية الأوربية، بتعزيز احتكاراتها على مصادر التزود بالفوسفات، كان في لحظة ما، مهددا عن طريق الإرادة الضعيفة و المترددة للبرجوازية المغربية في سياسة مستقلة بالنسبة لمادة الفوسفات.

في الإطار الحالي، حيث مثل هذه الاتجاهات مستبعدة نهائيا، فقد تم القيام بعملية مزدوجة: ركود المكتب الشريف للفوسفات، و تدهور الصناعة الكيماوية بأسفي، عن طريق قناة خدام الرأسمال المالي الدولي لأوليغارشيتنا الكمبرادورية، و قد قامت هذه المجموعات المالية نفسها بتهيئ استغلال فوسفات الساقية الحمراء، بواسطة شركة دولية مراقبة من طرفهم، و من طرف البرجوازية الكبيرة البيروقراطية الاسبانية، شركة ستمتع بوضع قانوني، في إطار الدولة الدمية للصحراء الغربية، و الكل تحت وصاية الامبريالية الأمريكية و الاحتكارات العالمية.

ونرى إذن، لأسباب تتلاقى فيما بينها، أن العملية الاقتصادية الرئيسية للامبريالية توجد في المغرب الكبير، فهناك أيضا أسباب أخرى، سياسية و عسكرية، تشبه العملية التي بمقتضاها تم تأسيس الصنعة الامبريالية في الشرق العربي، دولة إسرائيل، هادفة إلى خلق صنعة من نفس النوع في هذه المنطقة.

ما يفسر هذا أيضا، أن الاستراتيجية الأساسية للامبريالية، في المناطق الأكثر سكانا في المغرب الكبير، الأكثر حساسية إذن للحركات السياسية، هي حماية و دعم الأوليغارشيات الكمبرادورية، و البيروقراطيات البرجوازية الصغيرة، التي بإمكانها تحييد هذه الحركات السياسية.

نرى أيضا، في هذا النطاق، كيف يكون دون جدوى، البحث عن انسجام الاستراتيجية الاقتصادية للامبريالية، بالنسبة لكل بلد على حدى، في المغرب و الجزائر و تونس، فالأساسي بالنسبة للامبريالية في هذه المناطق، يكمن في محاصرة الحركة الثورية للجماهير، لحد أنها، إذا استدعى الأمر ذلك، دعم الفئات الاجتماعية الأكثر طفيلية و أشكال الأنظمة الأكثر فاشية، و ذلك من أجل حماية المناطق التي تتمركز فيها العمليات الأساسية للسيطرة على المواد الأولية و التواجد العسكري المباشر.

لذلك نرى، كيف تكون واهمة نظريات العديد من تكنوقراطينا و سياسيينا البرجوازيون الصغار، الذين يحددون أنفسهم بفكرة أن الامبريالية سينتهي بها الأمر إلى مساندتهم في الوصول إلى السلطة، لأنهم هم من يمكنهم أن يكونوا أناسا فاعلين و جديين بالنسبة للاقتصاد المغربي. بالنسبة للامبريالية في المغرب، فالذي يهم، ليس فقط نجاعة الاقتصاد، بل منع التحرك الثوري ل 15 مليون من المغاربة.

هذا ما يفسر تذلل الوزراء الفرنسيين للجنرال أوفقيير، و مساندة الإمبريالية الأمريكية سياسيا و اقتصاديا، و دون تحفظ، لأوليغارشيتنا.

في أحسن الأحوال، يتم الالتجاء بدون ضوضاء، لما يكشف خطأ تقني و بشكل واضح دائرة التعفن، إلى تغييرات وزارية، بالاعتماد على نفس المعيار، ألا و هو خدمة الأسياذ.
هكذا، و هنا أيضا، يتبين أن الأساسي بالنسبة للامبريالية، ليس تطبيق توصيات البنك الدولي حول الإصلاح الزراعي، و إنما دعم الأوليغارشية الكمبرادورية، و لا يزعجها أيضا ترك التجار الأوربيين الصغار و المتوسطين لمصيرهم، فعملية مغربة التجارة، هي قبل كل شيء، تم وضعها من أجل الربح الأكبر للأوليغارشية الكمبرادورية، و بالتالي للدوائر المالية الدولية التي اندمجت فيها هذه الأوليغارشية.

هذا، ما يفسر أن الأوليغارشية الكمبرادورية، يمكنها، على إيقاع يتعري أكثر فأكثر، توسيع نهبها للبلاد، و الوصول إلى ميزانية للدولة تساوي ثلث الناتج الوطني، لصالح آلة إدارية تركز أكثر فأكثر على التبذير و الطفيلية، و توجيه على وجه الحصر، القرارات الاقتصادية وفق شهيتها الفاحشة، مثال على ذلك، الزيادة الأخيرة في ثمن الزبدة الذي انتقل دفعة واحدة من 2 دراهم إلى 6 دراهم تقريبا للكلف، بعد التحكم في دائرة الاستيراد، كما هو الحال كذلك بالنسبة لسياسة السدود، التي لاتخدم سوى سياسة وضع اليد على الأراضي الزراعية.
إن مقارنة اقتصادية محضة، ستخلص إلى كون هذه السياسة متجهة نحو الإفلاس، لكن في الحقيقة تستفيد من الدعم اللامحدود للامبريالية.

و وحده النضال الثوري للجماهير، يستطيع القضاء على الناهبين و مدعيميهم، لكن تفاقم النهب، يخلق بالضبط الظروف الموضوعية لهذا النضال الثوري.
هذا يفسر أيضا، أن القلاع السياسية و العسكرية المقامة في النقط الاستراتيجية في العالم، يتم دعمها بكل ثمن، و بلا حدود، من طرف الامبريالية، كما هو الحال بالنسبة لإسرائيل و جنوب افريقيا.

إن التفكير بأنه يمكن الفصل بينهما، كما تفعل البرجوازيات العربية و الإفريقية، و تحريفونا، ليس إلا أوهاما مرتبطة بالطبيعة الطبقية لهؤلاء السياسيين، و تخوفهم العضوي من الجماهير، لأن الفكر البرجوازي و الامبريالي في جوهره يحترق الجماهير، و يعتقد بإمكانية التحكم في الشعوب عن طريق إرشاء و مراقبة، أو على الأقل، تحييد ما تسميه الامبريالية ب "النخب".

في هذا العمل، تقدم الإيديولوجية التحريفية مساعدة للامبريالية. أما الإيديولوجية البرجوازية الصغيرة، فلا تطلب أكثر من السماح لها بالدخول في هذه اللعبة، مشتركة هي الأخرى في هذا الاحتقار للجماهير.

و هذا ما يفسر أكثر فأكثر، كيف ينهار النظام في العالم، و كيف ترمي الجماهير بهذه النخب المزيفة إلى مزبلة التاريخ، و كيف تنهض الجماهير الشعبية في كل مكان، من أجل تحررها. هذا ما يفسر كذلك، أن فترة تعفن الامبريالية هي في نفس الوقت، و عن طريق سيرورة جدلية، الفترة التاريخية لاستيقاظ الشعوب، و تحركها الثوري على الصعيد العالمي. إنها الفترة التاريخية لتصفية الامبريالية على الصعيد العالمي.

خاتمة

نظن، أن ما سبق، يوضح الأفق الاستراتيجي للكفاح الثوري للجماهير بالمغرب. فلا يجب أن ننتظر من مثل هكذا مساومات، أن تحقق الامبريالية ديموقراطية برجوازية، على حساب خدامها، و لا كذلك انتظار أن يقع مأزق اقتصادي يجر هؤلاء (الخدام) إلى المساومة. لقد خلق التطور السياسي للسنوات الخمسة عشر الأخيرة وضعية، جعل الامبريالية، تعرف أنها لا تستطيع الاعتماد على سلطة سياسيين برجوازيين مختنين، عبر 15 سنة من الالتواءات، من أجل كبح الحركة الثورية للشعب المغربي. فالامبريالية، لا يمكنها سوى دعم النظام المرتشي للطغمة النيوفيوالية.

على صعيد المغرب الكبير، فهذه الطغمة تتواطئ مع البرجوازيات البيروقراطية الجزائرية و الموريطانية و التونسية، و مع الدمى التي يتم تهيئها في العيون، إن هذا التواطؤ مكون محوري للاستراتيجية الامبريالية في المنطقة.

لكن هذه الاستراتيجية، و ضرورات الامبريالية في الفترة التاريخية، التي هي فترة التصفية على الصعيد العالمي، جعلت من المغرب الحلقة الأضعف في هذه المنطقة، بتربط جدي مع اسبانيا، الحلقة الأخرى الضعيفة في الجهة الأخرى من مدخل البحر الأبيض المتوسط.

هذا يبين المسؤولية التاريخية لشعبنا، و في المقدمة، أو في مقدمة الكفاح، يأتي المناضلون الثوريون للطبقات الاجتماعية، الذين يشكلون القوى الأساسية للنضال الثوري للبرولتاريا و الفلاحين الفقراء.

إن الكفاح الثوري ضد نظام الأوليغارشية الكمبرادورية المتعفن، هو في نفس الوقت، و بشكل لا انفصام فيه، كفاح تحرري ضد الامبريالية.

إن هذا الكفاح، باعتباره محركا أساسيا لجهة تحررية بالغرب العربي، سيصبح الكفاح التاريخي الذي سيؤدي إلى انخيار الاستراتيجية الامبريالية في المنطقة، مدعما بذلك، بشكل حاسم، كفاح إخواننا الفلسطينيين، ليصبح بذلك، عاملا هاما للثورة العربية و الثورة العالمية.

4 مايو 1971